محمود الضميدي

فلسطين ـ نابلس

١٩٦٢م

سيرته الذاتية بقلمه:

اسم الشاعر: محمود أحمد عوض الضميدي

لقب الشاعر (ملك القوافي) وهو اسم مستخدم عرف به على الشبكة العنكبوتية

تاريخ الميلاد ١٢/٦ / ١٩٦٢ م

الجنسية: فلسطيني / نابلس / بلدة حوارة.

الدراسة: بكالوريوس اقتصاد ودبلوم عالي في التخصص نفسه.

الجامعة: اليرموك / الأردن / إربد.

العمل: مدير تنفيذي في القطاع المصرفي.

البدايات الشعرية: ١٩٧٨ مرحلة الدراسة الثانوية.

ينشر شعره عبر العنكبوتية.في (رابطة الشعراء العرب).

حاصل على وسام الإبداع من رابطة الشعراء العرب بتاريخ ١١/ ١١ / ٢٠١٣

مختارات من شعره

الشِّعر

عـروسُ الشِّعرِ قد أضْـنَتْ فَتـاهـا
رَمَــتْـهُ بـطَـرْفِـها سهـمـاً فَتـاهـا

وصـــارَ أسـيـرَهـا طَـوْعـاً وحُـبـاً
ومـــا زالَ الـمُـتَيَّـم فـــي هَـواهـا

تُـطَـوِّقُـهُ الـحِـسـانُ بِـكُـلِّ فَـــجٍّ
وقــد عــافَ الـعَذارى واصْـطَفاها

حَــواهـا نَـبْـضُـهُ لَـحْـنـاً شَـجِـيّـاً
عَـسـاها أنْ تَــرِقَّ لَــهُ عَـسـاها

سَـلاها إنْ سَلَتْهُ أسىً سَلاهـا؟
وَتَــسْـلوهُ الـحَـياةُ ومـا سَـلاها!

حَـبـاها رَبُّـهـا مِــنْ كُــلِّ حُـسْـنٍ
وأبــدعَ خَـلْـقَـهـا عَـمَّــنْ سِواهـا

تَـراهـا فــي الـخـليجِ كَـرُمْحِ زانٍ

ومِــنْ نــورِ الـحِجازِ تَرى سَناها

ويُـمْـنـاها بِــأرْضِ الـقُدْسِ أسْرَتْ
وفي عَمّــانَ يُــسْراهــا تَــراها

ومِــنْ لُـبْنانَ قَـدْ حَـصَـدَتْ دَلالاً
ومِـنْ عِـطْـرِ الـشّآمِ أتـى شَذاها

وأهْـداهـا الـعِـراقُ شُـموخَ نـخـلٍ
وفــي صَـنـْعاءَ تَـحْـسَبُـهـا ذُراها

لهـا في الـمَـغْـرِبِ العـربيِّ خِــلٌ
يُـهَـدْهِـدُهـا ويُـهـديـهــا جَـنــاهـا

طـرابلسـيـةُ الــعـينين تـسببـي
كَـحــور العيــن خالِـقُـهـا بَـراهـا

وتــونسُ أُمُّــهــا قــد آنَـستـهـا
مَراكـشُ والجــزائرُ خــالَتـاهــا

تَــرى مِـصْرَ الـكِـنـانَةَ كَـحّـلَتْـهـا
ومــاءُ النّيلِ إنْ رَمُــدَتْ شَفـاهـا

وذا السودانُ أهــداها شِفــاهاً
بسُمْـرَتِـهِ وَخَـطَّ لَـهـا لَـمـاها

تُـوَحِّـدُ أمَّـةً فـي وجْـنَـتَـيْـهـا
وتَجْتَمِـعُ البحــورُ علـى حَـلاها

فَـوا أسَـفـاً عـلــى حــال تَـرَدّى
وأودى بالـعَـروسِ ومُـبْـتَـغـاهـا

فـهـاهــيَ أمــةُ الأعْــرابِ تاهـتْ
وقــدْ باتَـتْ تَسيـرُ علــى هَواها

وعـادتْ بَعْـدَ وحْدَتِـهـا شَظـايـا
أصــابَتْهـا لِـتُـفْـقَـأَ مُـقْـلَتـاهـا

تُمَـزِّقُ ثَـوْبَـهـا الـديـبـاجَ بَـغْـيـاً
وتَـتْـرُكُـها لِـتَـغْـرَقَ فــي دِمـاهـا

فَـلا نـاعٍ بِمَـصْرَعِـهـا نَـعــاهـا
ولا راثٍ بِــذِكْــراهــا رَثــاهـا!

فيا لَيْتَ العُروبَةَ ماتَشَظّتْ
وما اعْتَلَّتْ وما زَلَّتْ خُطاها

متى سَيَضُمُّها عَلَمٌ وحيدٌ
يُوَحِّدُها ويَخْفِقُ في سماها؟

تُباعِدُنا وتَقْلَعُ سِنَّ ضادٍ
تُفَرِّقُنا وتُمْعِنُ في أساها

ولَيْتَ النِّيلَ يجري بِانْسِيابٍ
ويَروي الأمَّةَ الظَّمْآى مِياها

وتَرْجِعُ لِلشَّآمِ سُنونُ عِزٍّ
لِتَنْطَلِقَ اليَمامَةُ في رُباها

وَتَنْفَكُّ السَّبِيَّةُ بَعْدَ أسْرٍ
فلسطينُ السَّليبةُ مِنْ عِداها

ويَنْثالُ الهلالُ يزيلُ عَتْماً
ويَحْتَضِنُ الصَّليبَ على ثَراها

ويَصْدَحُ فَوْقَ أقْصاها أذانٌ
لِيَفْضَحَ في البَرايا مَنْ سَباها

ألا لَـيْـتَ الـعُـروبَـةَ مـا تَـعَـرَّتْ

وعَـرَّتْـنـا ومـا انْـفَـكَّـتْ عُـراهـا!

* * *

حينما تبدأ العينان القراءة، يرى هذه العروس، عروس الشعر، خليجية، حجازية، مقدسية لبنانية شامية عراقية يمنية مفربية من طرابلس الغرب تونسية مراكشية جزائرية مصرية سودانية.

عطرها شامي أموي، وعزتها شموخ نخيل العراق عباسي...تتساءل النفس: ما بال هذه الحسناء؟.إنها سبية.وقد اكتنفها الظلام، واستشراف النفس أن ينثال الهلال ليزيل ليلاً درج على مغانييها، ليعود الاذان فوق القدس السليب ويفضح فعل أولائك المجرمين الذين سلبوها سترها فبان عريها.

استقراء كامل شامل واع طريقه، ومكتشف مهمته، في استغراق اللحظة، والتدفق الشعري المتميز.والبيت الاخير يصلح أن يطلق حكمة:

ألا ليت العروبة ما تعرت وعرتنا وما انفكت عراها

هوى ليلى

على ليـلاهُ من يهــوى يُغـنّي
وليلـى ليـس يُغـريـهـا التغنّـي

فليلـى لا تهيــمُ بغـيــرِ قيْسٍ
وليلــى ليسَ تُـدْرَكُ بالتـمنّــي

وليـلـى تلكَ مـؤنِسَةُ اللّيـالـي
تُسامرني فيدنــو البـدرُ مِـنّـِي

وليلـى وحـيُ إلهـامـي وفـنّــي
عشقتُ عيونَها من صغْرِ سنّـي

أرومُ وصــالَــهـا وأتــيهُ فـيــهـا
أسَخِّــرُ فـي هواهـا ألفَ جنّــي

لأسحـرَها فتلقـينــي صـريعـاً
بسحر دلالها أترعت دنّـــــي

أُعاتبُــها وهـل تهــويـنَ غيــري
تقــولُ مُعَــذِّبي لا تظلِـمَــنّــي

أكـادُ أُجَــنُّ مـن ذاك الـتَّـجـنّـي

فقلتُ: فداك عرشـي لا تَجنّـي

تسيءُ الظنَ؟! قالتْ: قلتُ لالا!!

وأقسـمُ إننّـي مـا سـاءَ ظـنّـي

أُسائِلُ كيْ أُطَمْئِنَ حِـسَّ قلبي

فـلا تقـسي علـيّ ولا تَـضـنِّـي

فإنّ هـواكِ يسـري في عروقي

لأنكِ نبـضُ شـعـري فاطمـئنّي

كما طِفْلي أتى من لُبِّ صُلْبي

وليس هواكِ طِفلي بالـتـبـنّـي

لأنّـي عــاشــقٌ حـقــاً لأنّـي

أتى أهـلُ الهـوى يدنـونَ منّـي

ليقتبسوا الصبابـةَ مـن عيوني

ويـرووا سيـرةَ العشـاقِ عنّـي

فقالتْ لي أحِبُّكَ يا مليكي

ومنْ يهوى بصدقٍ لا يُثَنِّ !

هذه القصيدة شغلت الشعراء طويلاً، والنقاد ومتذوقي الحرف، النحوي يقول:

(على ليلاه من يهوي يغني)

حق الفعل(يهوى) الجزم والفعل(يغني) كذلك لأنهما فعلان مضارعان وقع الأول فعلاً لا سم الشرط جازم (مَن) والثاني وقع جواباً لهذا الشرط الجازم فحق الرسم أن يكون هكذا:

(على ليلاه من يهوَ يغنِ) بعدم إشباع حركة الفتح في يهوى ليلا تنقلب الفتحة إلى ألف، فالفتحة دليل الألف المحذوفة فهي حرف علة جزم الفعل بحذفها، وكذلك الياء في الفعل (يغن) جزم الفعل بحذف الياء وبقيت الكسرة دليل الياء المحذوفة ولا تشبع في النطق، حتى لا يُظَن أن الفعل مرفوع أو انه غير مجزوم.

كما كثرت الآراء وأكثرها بلا تعليل، وإنما هو نقد انطباعي تأثري ساذج لا يقوِّم خطأ ولا يدل على صواب.

وأنا أسأل: من هذه ليلى؟.فيأتيني الجواب من القصيدة نفسها:

وليلى وحي إلهامي وفني

عشقت عيونها من صغر سني

إذاً فإن ليلى ليست إنسية، ولا يذهب الخيال بالقارئ منصرفاً إلى الجن، وإن سخَّر في هواها ألف جني، ليلى ما هي إلى من تكوين الشاعر نفسه، من تصوره الباطني في تشكيل الحبيب الذي يعشقه، ما صفاته؟ الجواب عن هذا التساؤل لدى الشاعر، فحبيبة الشاعر ليست من الأشباح، بل من وحي الإلهام، ومن وحي الفن الذي درج عليه صغيراً، وشب معه كبيراً.

ولعله في هذا الطرح تتقاطع الرؤى، وتتشابه مع شعراء آخرين كهذا البيت:

حبيبتي من خيال الشعر جوهرها

وما رأى طيفها جنٌّ ولا بشر

أما مسألة الجان، وأن الشاعر استعان على هواها بهم فهذه من موروثات الشاعرية العربية عبر التاريخ الأدبي، فشاعر له رئيٌّ من الجن يلهمه ويلقنه، وهذا شيطانه أنثى، وذاك شيطانه ذكر، وما إلى ذلك من هذه النزعات الغيبية

لتحقيق المراد.ولماذا يسخر الشاعر هذه القوة الغامضة في حبه؟ وهنا لن يتركنا الشاعر، ولم يتخل عنا، ولم يترك السؤال حائراً على شفاه السائلين بل يأتي الجواب في القصيدة نفسها (لأسحرها).وبعد قوة الألف من الجان ماذا تكون النتيجة؟ إن جنياً واحداً قد حمل مدينة الطائف من دمشق وطار بها ووضعها في الحجاز حسب إحدى الأساطير التي تقول: إن الطائف مسروقة من الشام.فما بالك بألف جني ؟ وما بالك بقوتهم.تقول القصيدة الرائعة، إن قوة سحر هذه الحبيبة قد غلبت ألف الجني، غدا الشاعر صريعاً، بعد قوة كل أولائك الجان.

إن الذي أعطى نكهة الغزل الحي النابض بالحيوية والحياة هو الحوار. والحوار من خصائص الأسلوب القصصي، والأسلوب القصصي من خصائص الشعر الحي الخالد، خذ من قصائد العذريين قصيدة (نُعم) لسيد الشعر القصصي في الإسلام الأول عمر بن أبي ربيعة ومطلعها:

أمن آل (نُعْمٍ) أنت غاد فمبْكر

غداة غد، أم رائح فمهجر؟

تجد فيها فناً قصصياً رسم للشعراء الغزلين منهجاً في باب النسيب والغزل، سار على دربه الشعراء من بعده.وضاح اليمن في حواراته مع أم البنين؛ قال وقالت...

وانتحل هذا الأسلوب الفرزدق في مغامرته الغرامية.

فكيف جاء الحوار في قصيدة (هوى ليلى ؟).

أُعاتبُــها وهـل تهــوينَ غيــري

تقــولُ مُعَــذِّبي لا تظلِـمَــنِّــي

أكـادُ أُجَــنُّ مـن ذاك الـتَّـجـنّـي

فقلتُ: فداك عرشـي لا تَجنّـي

تسيءُ الظنَ؟! قالتْ: قلتُ لالا ! !

وأقسـمُ إننّـي مـا سـاءَ ظـنّـي

(فداك عرشي) لا يقولها إلا صاحب عرش، إلا ملك، والشاعر في نفسه ملك،تربع على عرش القوافي حسب قوله، وسمى نفسه بهذا (ملك القوافي).

لأنّـي عــاشــقٌ حـقــاً لأنّـي

أتى أهـلُ الهـوى يدنـونَ منّـي

ليقتبسوا الصبابـةَ مـن عيوني

ويـرووا سيـرةَ العشـاقِ عنّـي

فقـالتْ لـي أحِبُّـكَ يا مليـكـي

ومـنْ يهوى بـصـدقٍ لا يُـثَـنِّ !

فالشاعر عاشق، وقد جاءه العشاق يدنون منه ليقتبسوا الصبابة منهم، من روحه من عيونه، وليرووا سيرة العشاق عنه. أن هذا الكلام حظ مشترك بين شعراء الغزل، فكل شاعر منهم يظن انه سيد العشاق، وفي مدينتي حماة الشاعر الطبيب الدكتور ابن خالي وجيه البارودي يرحمه الله، كان مدرسة في الغزل، وديوانه الآن بين يدي واسمه: سيد العشاق.هكذا، مرة واحدة.سيد العشاق.وقد كتب على غلاف الديوان الأمامي لا الخلفي هذين البيتين:

يا أيها الحيران في دنيا الهوى

هيا استمع لتجاربي ونوادري

أنا سيد العشاق من قبل الشبا

ب ومن نعومة أنملي وأظافري

تتوارد خواطر العشاق أحياناً، ويسميها النفاد: وقع النعل على النعل، أو وقع الخُطى على الخطى، كما رأينا الآن شاعرنا محمود وابن خالي سيد العشاق.

يبقى أمر أنوه به وهو: هل أقول: إن هذه القصيدة قد شغلت الناس وأكثروا من الإعجاب بها، ثم أمضي دون تعليل ؟.أجمل ما في هذه القصيدة حس الغزل وأدوات الغزل؛ الحرف المضيء، اللفظة المجنحة، شفافي الأسلوب فن القصص، والحوار.

الحوار في هذا النص يعوزه الانفساح والبعد النفسي والوجداني، فالحوار مقتضب، وهو حوار بسيط،
فما دام أن ليلى من هواه، فإذاً هي قدره، ولا محيد عنها، وهو بالنسبة إليها قدرها ولا محيد لها عنه، الشاعر وظف قوى غامضة ليصل إلى هذا المعنى، أو إلى طيف هذا المعنى، وكان حقه وهو ملك القوافي لا تعجزه إذا مد القصيد وقد عبّد دربه وامتلك ناصيته أن يسلك هذا الدرب ويسير إلى اكتمال التجربة الشعورية ونضجها، مادام يملك القيمة التعبيرية، فلماذا اقتضب نسيج القصة الشعرية واكتفى بالحد الأدنى الموصل إلى القارئ، ربما يكون عقله الباطن قد أوحى له قائلاً: وصلت الرسالة.

وأنا بصفتي قارئاً مستمتعاً أقرأ للمتعة الفنية وقد غمرتني، وأحسست بنشوة تشبه النرفانا لدى الهنود أقول: نعم في هذه القصيدة قد وصلت الرسالة.